قصص إسلامية للأطفال

المحفظة الضائعة

تأليف

محمد منير الجنباز ©

مكتبة
التوبة

© مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجنباز، محمد منير

المحفظة الضائعة.. الرياض

٣٨ص، ١٧×٢٤سم.. (سلسلة قصص إسلامية للأطفال)

ردمك: ٩ - ٤٥ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

١ - القصص الإسلامية ٢ - قصص الأطفال أ - العنوان

ب - السلسلة

ديوي ٨١٣،٠٨٨ ٢٠/٣٨١٦

رقم الإيداع: ٢٠/٣٨١٦

ردمك: ٩ - ٤٥ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

جميع حقوق الطبع محفوظة

طبعة جديدة منقحة

التوبة

الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير

هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مُصْطَفَى تَاجِرٌ كَبِيْرٌ وَغَنِيٌّ، اشْتُهِرَ بَيْنَ النَّاسِ بِالصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ، لِذَلِكَ قَصَدَهُ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ، وَتَعَامَلُوا مَعَهُ لِثِقَتِهِمْ بِهِ، وَاطْمِئْنَانِهِمْ عَلَى جَوْدَةِ بِضَاعَتِهِ، فَأَحَبُّوْهُ كَثِيْراً، وَكَثُرَتْ زَبَائِنُ مُصْطَفَى، وَازْدَادَتْ ثَرْوَتُهُ نَتِيْجَةً لِذَلِكَ، وَعَظُمَتْ حَتَّى امْتَلَكَ سَفِيْنَةً كَبِيْرَةً خَاصَّةً بِهِ، تَمْخُرُ عُبَابَ

البَحْرِ، لِتَنْقُلَ لَهُ أَفْخَرَ البَضَائِعِ وَأَغْلاهَا مِنْ بِلادِ الشَّرقِ البَعِيْدَةِ؛ كَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الجَزَائِرِ الغَنِيَّةِ بالتَّوَابِلِ وَالعُطُوْرِ وَالحَرِيْرِ.

وَعِنْدَمَا جَاءَ مَوْسِمُ الحَجِّ وَأَذَّنَ مُؤَذِّنُ الحَجِّ، يَدْعُو النَّاسَ الرَّاغِبِيْنَ في أَدَاءِ فَرِيْضَة الحج، لِلاسْتِعْدَادِ لِذَلِكَ، سَمِعَهُ مُصْطَفَى وَتَاقَتْ نَفْسُهُ لِلسَّفَرِ وَقَالَ: لَقَدْ فُرِضَ عَلَيَّ الحَجُّ لأَنَّنِي مُسْتَطِيْعٌ، وَعَلَيَّ أَنْ أُلَبِّيَ نِدَاءَ الله، قَال اللهُ تَعَالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

الذَّهَابُ إِلى الحج:

أَعَدَّ مُصْطَفَى عُدَّتَهُ، وَجَهَّزَ رَاحِلَتَهُ، وَانْطَلَقَ مُتَوَكِّلاً عَلَى اللهِ مَعَ قَافِلَةِ الحَجِّ، وَسَارَتِ القَافِلَةُ مُتَوَجِّهَةً إِلى مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ، وَفِي الطَّرِيْقِ تَوَقَّفَتِ القَافِلَةُ في أَمَاكِنَ كَثِيْرَةٍ، لِلاسْتِرَاحَةِ وَقَضَاءِ الحَاجَةِ، وَبَاتَ المُسافِرُونَ لَيَالِيَ كَثِيْرَةً عَلَى الطَّرِيْقِ، ثُمَّ وَصَلُوا إِلى المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ، وَوَصَلَ مَعَهُمْ مُصْطَفَى، وَبَعْدَ اسْتِرَاحَةٍ قَصِيْرَةٍ في المَدِيْنَةِ، أَرَادَ مُصْطَفَى أَنْ يَشْتَرِيَ بَعْضَ الحَاجَاتِ اللاّزِمَةِ لَهُ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلى جَيْبِهِ لِيُخْرِجَ مِنْهُ المَحْفَظَةَ فَلَمْ يَجِدْهَا، وَتَفَقَّدَهَا بَيْنَ أَغْرَاضِهِ

وَمَتاعِهِ لَعَلَّهَا تَكُوْنُ بَيْنَهَا، فَلَمْ يَعْثُرْ عَلَيْهَا أَيْضاً، وَهُنَا أَيْقَنَ أَنَّ مِحْفَظَتَهُ قَدْ ضَاعَتْ، وَضَاعَ مَالُهُ الْمُخَبَّأُ فِيْهَا، لَقَدْ وَضَعَ فِيْهَا ثَلاثَةَ آلافِ دِيْنَارٍ، وَهُوَ مَبْلَغٌ كَبِيْرٌ يَكْفِيْهِ لأَدَاءِ فَرِيْضَةِ الحَجّ، وَيَزِيْدُ مِنْهُ مِقْدَارٌ كَبِيْرٌ كَانَ يَنْوِي مُصْطَفَى أَنْ يَتَصَدَّقَ بِهِ عَلَى فُقَرَاءِ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، لَكِنْ مَا العَمَلُ؟ لَقَدْ فَقَدَ كُلَّ مَالِهِ.

فَكَّرَ مُصْطَفَى قَلِيْلاً بِمَا حَصَلَ لَهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَحْزَنْ، وَلَمْ يَيْأَسْ مِنْ إِتْمَامِ حَجِّهِ، وَقَالَ: هَذا قَضَاءُ اللهِ، إِنَّهُ غَنِيٌّ فِي بِلادِهِ، وَيَمْلِكُ آلافَ

الدَّنَانِيْرِ، فَلا مَانِعَ عِنْدَهُ أَنْ يَقْتَرِضَ المَالَ مِنْ أَصْحَابِهِ الّذينَ مَعَهُ في القَافِلَةِ، فَيُكْمِلُ حَجَّهُ، ثُمَّ يَرُدُّ لَهُمُ المَالَ عِنْدَ عَوْدَتِهِ إِلى بَلَدِهِ، وَطَلَبَ مُصْطَفَى مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يُقْرِضُوْهُ مَبْلَغاً مِنَ المَالِ، فَسَارَعَ الجَمِيْعُ إلى تَلْبِيَةِ طَلَبِهِ لِمَكَانَتِهِ عِنْدَهُمْ، وَجَمَعُوا لَهُ مَا أَرَادَ مِنَ المَالِ، فَأَكْمَلَ مُصْطَفَى طَرِيْقَهُ، فَحَجَّ وَتَصَدَّقَ عَلَى الفُقَرَاءِ كَمَا كَانَ يَنْوِي، وَعَادَ إِلى بَلَدِهِ فَرِحاً مَسْرُوْراً بِمَا أَنْعَمَ الله عَلَيْهِ مِنْ تَأْدِيَةِ فَرِيْضَةِ الحَجِّ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ إلى بَلَدِهِ، أَعَادَ المَالَ الّذي اقْتَرَضَهُ مِنْ

أَصْحَابِهِ، وَشَكَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

الكَوَارِثُ تَتَوَالَى عَلَى مُصْطَفَى:

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ، وَكَانَ مُصْطَفى ما يَزَالُ تَاجِراً كَبِيْراً لَهُ سُمْعَتُهُ الحَسَنَةُ، تَغْمُرُهُ نِعَمُ اللهِ الكَثِيْرَةُ مِنَ المَالِ وَالصِّحَّةِ وَالأَوْلاَدِ، وَكَانَ دَائِمَ الحَمْدِ والشُّكْرِ للهِ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ، كَمَا أَنَّهُ مَا كَانَ يَنْسَى أَبَداً أَنْ يُعَلِّمَ أَوْلاَدَهُ التَّمَسُّكَ بِالدِّيْنِ وَالأَخْلاَقِ الحَمِيْدَةِ، وَشُكْرَ اللهِ واسْتِغْفَارَهُ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، وَكَانَ عِنْدَهُ وَلَدَانِ شَابَّانِ وَطِفْلَةٌ رَضِيْعَةٌ، يَعِيْشُونَ تَحْتَ رِعَايَتِهِ، وَهُمْ في

غَايَةِ الأَدَبِ وَالاِحْتِرامِ لِوَالِدَيْهِمْ.

وَفِي أَحَدِ الأَيَّامِ، وَبَيْنَمَا كَانَ مُصْطَفَى جَالِساً عَلَى مَائِدَةِ الطَّعَامِ وَقْتَ الغَدَاءِ مَعَ زَوْجَتِهِ وَأَوْلاَدِهِ، قُرِعَ بَابُ الدَّارِ، فَخَرَجَ أَحَدُ أَوْلاَدِ مُصْطَفَى لِفَتْحِ البَابِ، فَإِذا الخَادِمُ حَسَنٌ يَطْلُبُ مُقَابَلَةَ سَيِّدِهِ مُصْطَفَى لأمرٍ هَامٍّ، فَقَامَ إِلَيْهِ مُصْطَفَى، وَقَالَ لَهُ: مَا حَاجَتُكَ وَلأيِّ أَمْرٍ هَامٍّ تَطْلُبُ مُقَابَلَتِي؟ فَمَكَثَ الخَادِمُ صَامِتاً بُرْهَةً دُوْنَ جَوَابٍ، وَهُوَ مُرْتَجِفٌ، وَفِي وَجْهِهِ لَوْنُ صُفْرَةٍ تَدُلُّ عَلَى الخَوْفِ، أَوْ عَلَى كِتْمَانِ نَبَأٍ خَطِيرٍ،

فَقَالَ مُصْطَفَى ثَانِيَةً: انْطُقْ يَا هَذَا، مَا بِكَ خَائِفٌ؟ لَقَدْ جَعَلْتَنِي فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِي.

قَالَ حَسَنٌ: إِنَّ السَّفِينَةَ الَّتِي تَمْتَلِكُهَا يَا سَيِّدِي غَرِقَتْ فِي البَحْرِ وَهِيَ عَائِدَةٌ مِنَ الهِنْدِ. مَعَ كُلِّ مَا فِيهَا مِنَ البَضَائِعِ، أَطْرَقَ مُصْطَفَى قَلِيلاً لِهذا الخَبَرِ المُؤْلِمِ، ثُمَّ ما زَادَ أَنْ قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ، عُدْ رَاشِداً إِلى الدُّكَّانِ يَا حَسَن، هَذِهِ إِرَادَةُ اللهِ، وَلاَ مَرَدَّ لِقَضَائِهِ، وَدَخَلَ مُصْطَفَى إِلى بَيْتِهِ، ثُمَّ عَادَ إِلى مَائِدَةِ الطَّعَامِ يُتَابِعُ طَعَامَهُ مَعَ أَهْلِهِ وَأَوْلادِهِ، إِنَّهُ لَمْ يَحْزَنْ،

وَلَمْ يَتَأَلَّمْ، بَلْ سَلَّمَ أَمْرَهُ إِلى اللهِ، على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هَذِهِ السَّفِينَةَ الّتي غَرِقَتْ بِالبَضَائِعِ تُسَاوِي ثَلاثَةَ أَرْبَاعِ ثَرْوَتِهِ، وَعَادَ لِلْعَمَلِ في دُكّانِهِ بِهِمَّةٍ وَعَزْمٍ جَدِيْدٍ، مُحَاوِلاً أَنْ يَسْتَعِيْدَ ثَرْوَتَهُ الضَّائِعَةَ.

وَلَكِنْ بَعْدَ أَيَّامٍ مِنَ العَمَلِ أَتَاهُ نَبَأُ مَصْرَعِ وَلَدَيْهِ، لَقَدِ انْهَدَمَ جِدَارٌ قَدِيْمٌ فَوْقَهُمَا، فَمَاتَا تَحْتَ الأَنْقَاضِ، وَلَمْ تُفْلِحِ الجُهُوْدُ المَبْذُوْلَةُ مِنَ النَّاسِ لإِخْرَاجِهِمَا عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ، فَحَزِنَ عَلَيْهِمَا وَذَرَفَ دُمُوْعَهُ لِفَقْدِهِمَا، لَكِنَّهُ عَادَ وَتَذَرَّعَ بِالصَّبْرِ وَالدُّعَاءِ لَهُمَا بِالمَغْفِرَةِ وَالرِّضْوانِ، وَمِمَّا خَفَّفَ مِنْ حُزْنِهِ

عَلَيْهِمَا، أَنَّهُما كَانَا صَالِحَيْنِ مُطِيْعَيْنِ لِوَالِدَيْهِمَا، ثُمَّ سَلَّم أَمْرَهُ إِلى اللهِ تَعَالَى، لأَنَّهُ هُوَ الّذي يُعْطِي وَيَمْنَعُ بِمَا شَاءَ وبِمَا أَرَادَ، وَعَاشَ مُصْطَفَى مَعَ زَوْجَتِهِ وَابْنَتِهِ الرَّضِيْعَةِ، وَتَأَخَّرَتْ حَالَتُهُ وَتِجارَتُهُ، وَتَرَاجَعَتْ قُوَّتُهُ التِّجَارِيَّةُ في السُّوقِ، فَبَاعَ دَارَهُ الفَخْمَةَ وَاشْتَرَى دَاراً صَغِيْرَةً، وَخَوَى حَانُوْتُهُ مِنَ البَضَائِعِ المَرْغُوْبَةِ في السُّوقِ، فَتَفَرَّقَ عَنْهُ النَّاسُ وَالزَّبَائِنُ، وَانْفَضَّ عَنهُ الخَدَمُ لِيَبْحَثُوا عَنْ سَيِّدٍ غَنِيٍّ يَعِيْشُونَ في كَنَفِهِ، وَظَلَّتْ حَالُ مُصْطَفَى في تَرَاجُعٍ عَلَى الدَّوَامِ حَتَّى أَصْبَحَ فَقِيْراً لاَ يَمْلِكُ إِلاَّ قُوْتَ

يَوْمِهِ، فَضَاقَتْ عَلَيْهِ بَلْدَتُهُ، وَقَرَّرَ الرَّحِيْلَ مِنْهَا وَمُغَادَرَتَهَا إلى بَلْدَةٍ أُخْرَى، لأَنَّهُ أَصْبَحَ يَخْجَلُ مِنْ نَظَرَاتِ النّاسِ إِلَيْهِ، فَقَدْ أَصْبَحَ مَضْرِبَ المَثَلِ في تَبَدُّلِ حَالِهِ السَّرِيْعِ مِنَ الغِنَى إلى الفَقْرِ، فَبَعْدَ الغِنَى وَالثِّيَابِ الفَاخِرَةِ الجَمِيْلَةِ الّتي كَانَ يَرْتَدِيْهَا، أَصْبَحَ يَلْبَسُ ثِيَاباً رَثَّةً بَالِيَةً، وَبَعْدَ الخَدَمِ وَالتَّصَدُّقِ عَلَى الفُقَرَاءِ وَإِنْفَاقِ المَالِ، انفَضَّ عَنْهُ الخَدَمُ وَأَصْبَحَ فَقِيْراً لاَ يَمْلِكُ مَالاً يَتَصَدَّقُ بِهِ، لَقَدْ فَضَّل الرَّحِيْلَ مِنَ البَلْدَةِ، عَلَّ اللهَ تَعَالَى يُبَدِّلُ حَالَهُ، وَتَتَحَسَّنُ مَعِيْشَتُهُ، فَفِي الحَرَكَةِ بَرَكَةٌ، وَعَرَضَ الأَمْرَ عَلَى

زَوْجَتِهِ، فَوَافَقَتْهُ عَلَى فِكْرَتِهِ، وَشَدَّتْ مِنْ عَزِيْمَتِهِ، وَشَجَّعَتْهُ عَلَى الرَّحِيْلِ، لأَنَّهَا هي الأُخْرَى لَمْ تَعُدْ تُطِيْقُ نَظَرَاتِ الشَّمَاتَةِ مِنَ النِّسَاءِ، وَالكَلامَ عَلَيْهَا بَعْدَ الغِنَى وَوَصْفَهَا بِالمِسْكِينَةِ صَاحِبَةِ الحَظِّ العَاثِرِ، لَكِنَّهَا كَانَتْ تَصْبِرُ إِرْضَاءً لِزَوْجِهَا، وَلاَ تَطْلُبُ مِنْهُ مُغَادَرَةَ البَلْدَةِ، أَمَا وَقَدْ عَرَضَ عَلَيْهَا زَوْجُهَا الرَّحِيْلَ فَإِنَّهَا فُرْصَةٌ لِتَغْيِيْرِ البَلَدِ، وَالسَّعْيِ لِلرِّزْقِ، لِذَلِكَ سَهَّلَتْ لَهُ أُمُوْرَ الرَّحِيْلِ.

الرَّحِيْلُ:

جَهَّزَت الزَّوْجَةُ الصّابِرَةُ أَمْتِعَةَ السَّفَرِ

القَلِيْلَةَ، وَبَعْضَ الزَّادِ والشَّرَابِ، وَأَعْلَمَتْ زَوْجَهَا

الّذي كَانَ يَنْظُرُ مِنْ شُبَّاكٍ صَغِيْرٍ، وَيُجِيْلُ بَصَرَهُ

في بَلْدَتِهِ الّتي سَيَتْرُكُهَا، وَيَتَأَمَّلُ بِشُرُوْدٍ كَبِيْرٍ حَالَهُ

السَّابِقَةَ، وَغِنَاهُ وَمَجْدَهُ، وَيَتَذَكَّرُ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ

مِنْ بُؤسٍ وَفَقْرٍ، وَطَرَقَتْ سَمْعَهُ كَلِمَاتُ زَوْجَتِهِ

الّتي تَقُوْلُ لَهُ: لَقَدِ انْتَهَيْتُ مِنْ حَزْمِ أَمْتِعَتِي فَهَيَّا

لِلرَّحِيْلِ، فَالْتَفَتَ وَكَأَنَّهُ قَدْ أَفَاقَ مِنْ حُلُمٍ كَانَ

يَغُطُّ فِيْهِ، وَقَالَ: هَيّا إِذَنْ، وَمَدَّ ذِرَاعَيْهِ إِلى ابْنَتِهِ

الصَّغِيْرَةِ، وَحَمَلَهَا بِعَطْفٍ وَحَنَانٍ، وَفي عَيْنَيْهِ

بِضعُ قَطَرَاتٍ مِنَ الدّمُوعِ حَاوَلَ أَنْ يَحْبِسَهَا كَيْ

لاَ تَرَاهَا زَوْجَتُهُ وَابْنَتُهُ. وَحَمَلَتِ الزَّوْجَةُ مَتَاعَ السَّفَرِ وَانْطَلَقَا، لَقَدْ كَانَتْ زَوْجَةُ مُصْطَفَى مُطِيْعَةً وَصَابِرَةً، وَكَانَتْ فِيْما مَضَى غَنِيَّةً شَاكِرَةً، وَبَعْدَ فَقْرِهَا صَبَرَتْ وَرَضِيَتْ بِقَضَاءِ اللهِ، فَلَمْ تَتَكَبَّرْ عَلَى زَوْجِهَا، وَلَمْ تَتْرُكْهُ بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ فَقِيْراً، بَلْ ظَلَّتْ عَلَى وَفَائِهَا تُكَافِحُ مَعَهُ وَتُلاَزِمُهُ، هَا هِيَ الآنَ تَرْحَلُ مَعَهُ رَغْمَ أَنَّهَا حَامِلٌ فِي شَهْرِهَا الأَخِيْرِ، وَمَوْعِدُ وِلاَدَتِهَا أَصْبَحَ قَرِيْباً لاَ يَتَجَاوَزُ بِضْعَةَ أَيَّامٍ، وَتَقَدَّمَ رَكْبُ مُصْطَفَى فِي الطَّرِيْقِ، وَمَرَّ عَلَى عَدَدٍ مِنَ القُرَى الصَّغِيْرَةِ، فَكَانُوا

يَسْتَرِيحُونَ وَيَشْتَرُونَ مَا يَلْزَمُهُمْ مِنْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ، ثُمَّ يُغَادِرُونَهَا، حَتَّى شَارَفُوا - بَعْدَ رِحْلَةٍ قَاسِيَةٍ - عَلى المَدِيْنَةِ الكَبِيْرةِ الّتي قَصَدَهَا مُصْطَفَى، وَقَبْلَ دُخُوْلِ المَدِيْنَةِ بِمَسافَةٍ قَلِيْلَةٍ، شَكَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ أَلَمٍ في بَطْنِهَا، لَقَدْ حَانَ مَوْعِدُ وِلاَدَتِهَا، فَأَجْلَسَهَا مُصْطَفَى مَعَ طِفْلَتِهِ في بَيْتٍ خَرِبٍ مَهْجُوْرٍ، وَجَدُوْهُ في أَطْرَافِ المَدِيْنَةِ، ثُمَّ أَسْرَعَ إِلى البَلْدَةِ لِيَشْتَرِيَ لَهَا مَا تَقْتَاتُ بِهِ، وَكَانَ الوَقْتُ بَعْدَ المَغْرِبِ بِقَلِيْلٍ، وَدَخَلَ البَلْدَةَ، وَرَاحَ يُفَتِّشُ عَنْ مَطْعَمٍ، فَلَمْ يَجِدْ مَطْعَماً، وَطَافَ في

الشَّوَارِعِ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ قَلْبِهِ أَنْ يُهَيِّءَ اللهُ لَهُ مَطْعَماً لِيَشْتَرِيَ مِنْهُ الزَّادَ لِزَوْجَتِهِ، وَأَخِيْراً وَجَدَ مَطْعَماً في وَسَطِ البَلْدَةِ فَخَفَقَ لَهُ قَلْبُهُ فَرَحاً.

آخِرُ المَصَائِبِ:

واقْتَرَبَ مُصْطَفَى مِنْ صَاحِبِ المَطْعَمِ، وقَالَ لَهُ: أَعْطِنِي لَبَناً وَزَيْتاً، فَقَالَ لَهُ البَائِعُ: أَيْنَ وِعَاؤُكَ؟

قَالَ مُصْطَفَى: أَنَا رَجُلٌ غَرِيْبٌ وَلَيْسَ عِنْدِي وِعَاءٌ.

قَالَ البَائِعُ: إِذاً تُعْطِيَنِي رَهْناً لِكَي أَضْمَنَ

ثَمَنَ الوِعَاءِ، فَهَزَّ مُصْطَفَى رَأْسَهُ وَقَالَ لَهُ: كَمْ تُرِيْدُ؟

قَالَ البَائِعُ: خَمْسَةَ دَرَاهِمَ، فَسَكَتَ مُصْطَفَى وَلَمْ يَتَكَلَّمْ، قَالَ البَائِعُ: مَا بِكَ يَا رَجُل؟ لِمَ لاَ تُجِيْبُ؟

قَالَ مُصْطَفَى: لاَ أَمْلِكُ إِلاّ دِرْهَماً وَاحِداً، فَأَعْطِنِي بِهِ حَاجَتِي، وَإِنِّي أَعِدُكَ بِأَنْ أَرُدَّ لَكَ الوِعَاءَ.

أَدْرَكَ البَائِعُ الطَّيِّبُ فَقْرَ مُصْطَفَى وَحَاجَتَهُ، فَأَشْفَقَ عَلَيْهِ، وَمَلأَ لَهُ الوِعَاءَ لَبَناً، وَصَبَّ فَوْقَهُ

زَيْتاً، ثُمَّ نَاوَلَهُ إِيّاهُ، وَقَالَ لَهُ: لاَ تَنْسَ أَنْ تُعِيْدَهُ

إِلَيَّ فِي الصَّبَاحِ البَاكِرِ، فَشَكَرَهُ مُصْطَفَى وَوَعَدَهُ

بِرَدِّ الوِعَاءِ دُوْنَما تَأْخِيْرٍ، وَأَمْسَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ الوِعَاءَ

وَهُوَ فَرِحٌ مَسْرُوْرٌ، فَقَدْ نَسِيَ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ

هُمُوْمَهُ، وَظَنَّ أَنَّهُ يَحْمِلُ هَدِيَّةً قَيِّمَةً إِلى زَوْجَتِهِ،

حَيْثُ سَتَجِدُ الطَّعَامَ الشَّهِيَّ بَعْدَ أَلَمِ الوِلاَدَةِ،

فَتَذَكَّرَ أَنَّهَا بَعِيْدَةٌ فِي بَيْتٍ خَرِبٍ مَهْجُوْرٍ، وَخَافَ

التَّأْخِيْرَ، وَقَالَ: رُبَّمَا تَضَعُ مَوْلُوْدَهَا في غَيْبَتِي

فَيُصِيْبُهَا مَكْرُوْهٌ، فَأَسْرَعَ الخُطَا في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ

دُوْنَ أَنْ يَرَى مَكَانَ وَقْعِ قَدَمَيْهِ، إِنَّ الشَّوَارِعَ غَيْرُ

مُنَارَةِ تَمَاماً، وَالوَقْتُ أَصْبَحَ بَعْدَ العِشَاءِ، وَالشَّوَارِعُ أَقْفَرَتْ مِنَ النَّاسِ وَالمَارَّةِ، فَالكُلُّ أَوَى إلى بَيْتِهِ لِيَسْتَرِيحَ مِنْ عَنَاءِ يَوْمٍ طَوِيلٍ.

وَبَيْنَما كَانَ مُصْطَفَى يَسِيرُ بِهَذِهِ السُّرْعَة، زَلَّتْ قَدَمُهُ في حُفْرَةٍ صَغِيْرَةٍ في الطَّرِيْقِ، فَسَقَطَ فِيْهَا، وَهَوَى الإِنَاءُ مِنْ يَدِهِ وَتَحَطَّمَ، وَسَالَ كُلُّ مَا فِيْهِ مِنْ لَبَنٍ وَزَيْتٍ عَلى التُّرَابِ، وَانْكَبَّ مُصْطَفَى عَلَى الإِنَاءِ يَتَلَمَّسُهُ بِيَدَيْهِ المُرْتَعِشَتَيْنِ، فَإِذا هُوَ حُطَامٌ مُتَنَاثِرٌ، وَجَلَسَ المِسْكِيْنُ في الطَّرِيْقِ قُرْبَ الإِنَاءِ وَهُوَ في حَالَةٍ مِنَ الذُّهُوْلِ

وَالأَسَى، وَاسْتَعْرَضَ حَالَهُ وَبُؤسَهُ وَشَقَاءَهُ، وَاسْتَعْرَضَ ما كَانَ عَلَيْهِ مِنَ العِزِّ وَالغِنَى، وَتَوَالَتْ في فِكْرِهِ الهُمُوْمُ وَالمَصَائِبُ، إِنَّهُ صَبَرَ كَثِيْراً، إِنَّهُ لَمْ يَعُدْ يَتَحَمَّلُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَنَاجَى رَبَّهُ بِقَلْبٍ كَسِيْرٍ، ثُمَّ أَفْرَغَ هَذِهِ الهُمُوْمَ في بُكَاءٍ شَدِيْدٍ، فَعَلاَ صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ بُكَاؤُهُ وَهُوَ لاَ يَدْرِي بِحَالِهِ، إِنَّهُ يَبْكِي لأَوَّلِ مَرَّةٍ في حَيَاتِهِ بَعْدَ مَرْحَلَةِ الطُّفُولَةِ، وَخَرَجَ البُكَاءُ يشُقُّ سُكُوْنَ اللَّيْلِ، فَسَمِعَهُ سُكَّانُ البُيُوْتِ المُجَاوِرَةِ، فَهَبَّ سَاكِنٌ مِنْ إِحْدَى هَذِهِ البُيُوْتِ وَفَتَحَ نَافِذَةَ بَيْتِهِ وَأَطَلَّ عَلَى

الطَّرِيْقِ، وَأَخَذَ يَنْظُرُ عَبْرَ الظَّلاَمِ مُوَجِّهاً بَصَرَهُ نَحْو مَصْدَرِ الصَّوْتِ، ثُمَّ صَاحَ: يَا هَذَا مَا يُبْكِيْكَ؟ فَالْتَفَتَ مُصْطَفَى إلى النَّافِذَةِ، وَقَالَ: لَقَدْ سَقَطَ مِنِّي إِنَاءُ اللَّبَنِ وَانْكَسَرَ، قَالَ الرَّجُلُ: يَا سُبْحَانَ الله، رَجُلٌ كَبِيْرٌ مِثْلُكَ يَبْكي لأَنَّهُ كَسَرَ إِنَاءَ لَبَنٍ، هَلْ أَنْتَ خَادِمٌ لِسَيِّدٍ شَحِيْحٍ؟

مَاذَا جَرَى لِلنَّاسِ في هَذِهِ الأَيَّامِ؟ يُقْلِقُوْنَ رَاحَةَ النِّيَامِ مِنْ أَجْلِ دَرَاهِمَ مَعْدُوْدَةٍ، ثُمَّ أَغْلَقَ النَّافِذَةَ بِعُنْفٍ.

قَالَ مُصْطَفَى: سَامَحَكَ الله، ثُمَّ عَادَ وَنَظَرَ

إِلى الإِنَاءِ المَكْسُوْرِ وَإِلى اللَّبَنِ والزَّيْتِ اللَّذَيْنِ خَالَطَا التُّرَابَ، فَتَذَكَّرَ حَالَ زَوْجَتِهِ الّتي سَتَلِدُ دُوْنَ أَنْ تَجِدَ طَعَاماً، وَاسْوَدَّتِ الدُّنْيَا مَرَّةً أُخْرَى في عَيْنَيْهِ، وَتَخَيَّلَ مُصِيْبَةً تَحُلُّ بِزَوْجَتِهِ وَهِيَ تَلِدُ، وَقَالَ: قَدْ تَكُوْنُ مَاتَتِ الآنَ، وَمَاتَتْ مَعَهَا ابْنَتِي الصَّغِيْرَةُ لِتَأَخُّرِ الطَّعَامِ، فَعَاوَدَهُ البُكَاءُ بِعُنْفٍ مَرَّةً أُخْرَى، إِنَّهُ لاَ يَمْلِكُ أَيَّ دِرْهَمٍ، مِنْ أَيْنَ سَيَشْتَرِي طَعَاماً؟ فَفَتَحَ الرَّجُل النَّافِذَةَ ثَانِيَةً، وَقَالَ لَهُ بِعُنْفٍ: باللهِ عَلَيْكَ إِلاّ سَكَتَّ أَيُّهَا الرَّجُلُ، لَقَدْ أَزْعَجْتَنَا دَعْنَا نَنَامُ وَارْحَلْ مِنْ هَذا المَكَانِ،

إِنَّ النَّاسَ تُصَابُ بِأَكْبَرِ مِنْ هَذِهِ المُصِيْبَةِ، وَلاَ يُسْمَعُ لَهُمْ صَوْتٌ وَلا بُكَاءٌ.

قَالَ مُصْطَفَى: سَامَحَكَ الله، لَقَدْ فَقَدْتُ قَبْلَ عَشْرِ سِنِيْنَ مِحْفَظَةً فِيْهَا ثَلاَثَةُ آلاَفِ دِيْنَارٍ، فَوَاللهِ مَا دَمَعَتْ لِي عَيْنٌ عَلَيْهَا، وَلاَ حَزِنْتُ لِفَقْدِهَا، لأَنِّي كُنْتُ غَنِيّاً، والآنَ تَرَانِي أَبْكِي عَلَى دَرَاهِمَ مَعْدُوْدَةٍ لأني لا أَمْلِكُ غَيْرَهَا، قَالَ الرَّجُلُ - بِلُغَةِ المُسْتَفْهِمِ -: مَاذَا فَقَدْتَ؟ مِحْفَظَةٌ فِيْهَا ثَلاَثَةُ آلاَفِ دِيْنَارٍ! صِفْهَا لِي باللهِ عَلَيْكَ.

قَالَ مُصْطَفَى: أَوَتَسْخَرُ مِنِّي؟ اتْرُكْنِي

وَشَأْنِي، وَمَا يَنْفَعُنِي أَنْ أَصِفَهَا لَكَ؟

قَالَ الرَّجُلُ: باللهِ عَلَيْكَ إِلاَّ وَصَفْتَهَا لِي، فَإِنِّي واللهِ مَا أُكَلِّمُكَ إِلاّ جَادّاً لاَ سَاخِراً، فَامْتَنَعَ مُصْطَفَى عَنِ الكَلامِ وَهُوَ يَقُوْلُ في قَلْبِهِ: لاَ حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاّ باللهِ، أَنَا في هَذه الحَالَةِ البَائِسَةِ والرَّجُلُ يَطْلُبُ مِنِّي أَنْ أَصِفَ لَهُ مِحْفَظَةً فَقَدْتُهَا مُنْذُ عَشْرِ سِنِيْنَ، إِنَّهُ يُرِيْدُ أَنْ يَتَسَلَّى.

ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ إِلى الشَّارِعِ قَاصِداً مُصْطَفَى، وَأَمْسَكَ يَدَهُ، وقَالَ لَهُ: مَا صِفَةُ مِحْفَظَتِكَ المَفْقُودَةِ؟ قَالَ مُصْطفَى: سَأَصِفُها لَكَ

كَيْ تَتْرُكَني لِشَأني، إنَّها مِحْفَظَةٌ سَوْدَاءُ مُخَاطَةٌ بِخُيُوْطٍ حَمْرَاءَ، وَفِيْهَا ثَلاثُ طَبَقَاتٍ، وَضَعَتُ بِكُلِّ طَبَقَةٍ أَلْفَ دِيْنَارٍ، أَسَرَّكَ وَصْفُ المِحْفَظَةِ الآن؟ دَعْنِي وَشَأْنِي يَرْحَمُكَ اللهُ.

قَالَ الرَّجُلُ: لِمَنْ كُنْتَ تَحْمِلُ هَذَا الطَّعَامَ؟

قَالَ مُصْطَفَى: لِزَوْجَتِي، لَقَدْ تَرَكْتُهَا في طَرَفِ البَلْدَةِ في بَيْتٍ مَهْجُوْرٍ، وَهِيَ حَامِلٌ تَتَوَجَّعُ، وَرُبَّمَا تَكُوْنُ قَدْ وَلَدَتِ الآنَ وَلا أَنِيْسَ عِنْدَهَا.

قَالَ الرَّجُلُ: سَتَنْزِلُ ضَيْفاً عِنْدِي أَنْتَ وَزَوْجَتُكَ، هَيّا بِنَا لِنُحْضِرَهَا إلى بَيْتِي. سُرَّ مُصْطَفَى مِنْ كَرَمِ الرَّجُلِ المُفَاجِىءِ، وَذَهَبَ مَعَهُ عَلَى عَجَلٍ لِيُحْضِرَ زَوْجَتَهُ، فَأَتَيَا بِهَا وَبِابْنَتِهِ الصَّغِيْرَةِ، وَكَانَتْ زَوْجَةُ مُصْطَفَى لَمّا تَلِدْ بَعْدُ، وَأَنْزَلَ الرَّجُلُ ضُيُوفَهُ فِي بَيْتِهِ وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يَعْتَنُوا بِزَوْجَةِ مُصْطَفَى، وَفِي مُنْتَصَفِ اللَّيلِ وَلَدَتْ زَوْجَتُهُ غُلاَماً، فَجَاءَ الرَّجُلُ يُبَشِّرُهُ بِهِ، فَفَرِحَ مُصْطَفَى وَحَمِدَ الله.

الفَرَجُ:

وفي الصَّبَاحِ قَدَّمَ الرَّجُلُ لِمُصْطَفَى طَعَامَ

الفُطُوْرِ، وَتَجَاذَبَ مَعَهُ أَطْرَافَ الحَدِيْثِ في أَثْنَاءِ تَنَاوُلِهِمَا الطَّعَامَ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِمُصْطَفَى: ما صَنْعَتُكَ؟ قَالَ مُصْطَفَى: كُنْتُ تَاجِراً وَلي عِلْمٌ بِالتِّجَارَةِ، لَكِنِّي الآن فَقِيْرٌ كَمَا تَرَانِي، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أَتَّجِرُ بِهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَجِدَ عَمَلاً بَالمَدِيْنَةَ عِنْدَ أَحَدِ تُجَّارِهَا. قَالَ الرَّجُلُ: مَا رَأْيُكَ لَوْ تُشَارِكُنِي في تَجَارَةٍ صَغِيْرَةٍ؟ سَأُعْطِيْكَ الآنَ مِائَةَ دِيْنَارٍ لِتَشْتَغِلَ بِهَا، وسَنَقْسِمُ الرِّبْحَ بَيْنَنَا مُنَاصَفَةً، سُرَّ مُصْطَفَى لِهَذَا العَرْضِ السَّخِيِّ، وَأَخَذَ المِائَةَ دِيْنَارٍ ثُمَّ انْطَلَقَ إِلى السُّوْقِ، وهُنَاكَ

اشْتَرَى بِضَاعَةً ثُمَّ انْتَقَلَ بِهَا وَبَاعَهَا، وَرَبِحَ فِيْهَا ثُمَّ اشْتَرَى أُخْرَى.. وَهَكَذَا كَانَ يَبِيْعُ وَيَرْبَحُ كُلَّ يَوْمٍ وَالرِّبْحُ يَتَوَالَى عَلَيْه وَيَزْدَادُ، وَعَادَ بَعْدَ بُضْعَةِ أَيَّامٍ إِلى صَدِيْقِهِ وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ تَاجَرْتُ وَرَبِحَتْ تِجَارَتُنَا خَمْسِيْنَ دِيْنَاراً إليك نِصْفَهَا.

فَقَالَ الرَّجُلُ: أَضِفْ هَذَا الرِّبْحَ لِرَأْسِ المَالِ لِكَيْ يَزِيْدَ وَتَاجِرْ بِهِ، وَعَادَ مُصْطَفَى إِلى السُّوقِ وَالعَمَلِ بِهِمَّةٍ وَنَشَاطٍ، وَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ خَوْفُ الفَقْرِ، وَلاَحَتْ أَمَامَهُ بَشَائِرُ الخَيْرِ، فاللهُ هُوَ المُعْطِي وَهُوَ المَانِعُ، لَقَدْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنَ الفَقْرِ

عِنْدَمَا اشْتَدَّ فَقْرُهُ وَسَاءَتْ حَالُهُ، لِذَلِكَ كَانَ يَعْمَلُ دُوْنَ كَلَلٍ وَلاَ مَلَلٍ وَلِسَانُهُ يَلْهَجُ بِالثَّنَاءِ وَالدُّعَاءِ لِهَذا الرَّجُلِ الّذي سَاعَدَهُ، وَعَادَ إِلى صَدِيْقِهِ بَعْدَ غِيَابِ عِدَّةِ أَسَابِيْعَ وَقَدَّمَ لَهُ نِصْفَ الأَرْبَاحِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا صَدِيْقِي مُصْطَفَى؛ أُرِيْدُ أَنْ أَقُولَ لَكَ الآن شَيْئاً بَعْدَ أَنْ رَبِحَتْ تِجَارتُكَ، وَعَادَتِ الطُّمَأنِينَةُ إلى قَلْبِكَ.

قَالَ مُصْطَفَى: وَمَاذَا تُرِيْدُ أَنْ تَقُولَ يَا أَخِي؟

قَالَ الرَّجُلُ: تَذْكُرُ أَنَّكَ أَضَعْتَ مِحْفَظَتَكَ.

قَالَ مُصْطَفَى: نَعَم أَذْكُرُ ذَلِكَ وَلاَ أَنْسَاهُ.

قَالَ الرَّجُلُ: وَقَدْ سَأَلْتُكَ عَنْ وَصْفِهَا، فَوَصَفْتَهَا لِي.

قَالَ مُصْطَفَى: نَعَمْ، حَصَلَ ذَلِكَ لَيْلَةَ كُنْتُ أَبْكِي.

قَالَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَمُدُّ يَدَهُ إِلى صُنْدُوقٍ مُرَصَّعٍ بِالصَّدَفِ: أَهَذِهِ مِحْفَظَتُكَ؟

فَشَهَقَ مُصْطَفَى شَهْقَةً كَادَتْ تُوْدِي بِرُوْحِهِ عِنْدَمَا رَآهَا، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ مِنَ الفَرَحِ وَهَوْلِ المُفَاجَأَةِ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ إِفَاقَتِهِ مِنْ غَيْبُوبَةِ الفَرَحِ

وَقَالَ لِلرَّجُلِ: بِاللهِ خَبِّرنِي مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِهَا؟

قَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ وَجَدْتُهَا مُنْذُ عَشْرِ سِنِيْنَ وَأَنَا في طَرِيْقِي إِلى الحَجِّ، وَأَخْرَجْتُ وَقْتَهَا مُنَادِياً يَنْشُدُ صَاحِبَهَا فَلَمْ أَعْثُرْ عَلَيْهِ، فَاحتَفَظْتُ بِهَا عِنْدِي وَأَنَا أَدْعُو الله كُلَّمَا ذَكَرْتُهَا أَنْ يَجْمَعَنِي بِصَاحِبِهَا، لأرُدَّهَا لَهُ، فَأَنَا لاَ أُحِبُّ أَكْلَ المَالِ الحَرَامِ، وَالحَمْدُ للهِ، لَقَدْ حَمَلَكَ اللهُ إِلَيَّ وَسَاقَكَ إِلى هَذِهِ البَلْدَةِ لِيَعُوْدَ لَكَ مَالُكَ، وَأَنْتَ في أَشَدَّ الحَاجَةِ إِلَيْهِ، إِنَّهُ مَالٌ حَلاَلٌ، فَخُذْ مِحْفَظَتَكَ وَالرِّبْحَ الّذي جَنَيْتَهُ مِنْ تِجَارَتِكَ، لأنِّي

أَعْطَيْتُكَ المِائَةَ دِيْنَارٍ مِنْ مِحْفَظَتِكَ، وَأَصْلِحْ شَأْنَكَ.

فَشَكَرَ مُصْطَفَى صَنِيْعَ هَذا الرَّجُلِ المُؤمِنِ، وَدَعَا لَهُ بِالخَيْرِ وَالبَرَكَةِ، وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ بَعَثْتَ أَمَلَ الحَيَاةِ في نَفْسي، وَفِي نَفْسِ أَهْلِي وَأَوْلاَدِي بَعْدَ أَنْ أَشْرَفْنَا عَلى الهَلاَكِ، إِنَّ دُنْيَا المُسْلِمِيْنَ مَا زَالَتْ بِخَيْرٍ طَالَمَا فِيهَا أَمْثَالُكَ، إِنَّ للهِ في خَلْقِهِ شُؤُوْنٌ! وَاللهِ لَكَأَنَّ اللهَ قَدِ اسْتَوْدَعَكَ هَذا المَالَ لِتَرُدَّهُ إِلَيَّ وَقْتَ حَاجَتِي إِلَيْهِ، ثُمَّ تَلا قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ

رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾

أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ

هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ صدق الله العظيم.